الفصل التاسع

بحث الادعاء السوفيتي وكيف نرد عليه!

« المعركة أمريكية
والأداء إسرائيلي »

جنرال ديجول

١ - بحوث استراتيجية عالمية لدراسة أسباب هزيمة مصر في ٦٧:

اهتم عدد كبير من مراكز الدراسات الاستراتيجية العالمية، لكلا المعسكرين (الأمريكي، والسوفيتي) بدراسة حرب ٦٧، وأسباب هزيمة مصر، ويرجع هذا الاهتمام لاعتبار أن هذه الحرب كانت ضمن أحداث الصراع بين المعسكرين، على أنه لا يفوت علينا أن نتائج الدراسات المعلنة من مراكز الدراسات الاستراتيجية للمعسكر الغربي المعادي لنا هي لتضليلنا عن الأسباب الحقيقية للهزيمة، لأن مصلحة العدو ليست إرشادنا إلى أخطائنا لإصلاحها، الأمر الذي يُعطي الأهمية الكبيرة للبحوث التي قام بها المعسكر السوفيتي، باعتبار أن مصر كانت محسوبة ضمن المعسكر السوفيتي استراتيجيا - وليس عقائديًا - وهو ما جعل من هزيمتنا في ٦٧ هزيمة للمعسكر السوفيتي بأكمله، علاوة على الناحية المعنوية لمسئولية السوفيت عن إعداد الجيش المصري وكفاءته القتالية، اعتبارًا من إمداده بالسلاح والعتاد، وتقديم برنامج كامل لأساليب ونظم القتال وهو "النظام القتالي للعقيدة السوفيتية" بالإضافة إلى تقديم برنامج كامل "لأساليب وطرق التدريب القتالي" مع الكم الرهيب من الخبراء السوفيت الذين قاموا بتدريب الجيش، للوصول به إلى مستوى الجيوش الحديثة، الأمر الذي دفع بالقيادة السوفيتية بتكليف خبرائها لتقديم دراسة كاملة عن أسباب الكارثة، إلا أن نتائج هذا البحث لم تنشر على الرأي العام المصري، باستثناء بعض الجمل والمقتطفات، التي نشرها بعض الكُتاب ، والتي انتقوها لتؤيّد وجهة نظرهم الذاتية، أكثر منها تشير إلى مضمون البحث، ولا يزيد مضمون ما كتب عن نتائج الدراسات السوفيتية عن أنها اتهمت كبار القادة المصريين بالخيانة، وطالبونا بمحاكمتهم وإعدامهم رميًا بالرصاص، وعرضت هذه المقتطفات من نتائج البحث السوفيتي بدون الإشارة إلى الأسباب التي استندت عليها، لتكشف لنا بوضوح عن تحيّز هؤلاء الكتاب لانتماءاتهم الأيديولوجية وعن أن هدفهم كان لإثارة الرأي العام المصري ضد الاتهام السوفيتي أكثر منها، محاولة للقيام بالواجب لتحديد السلبيات التي قد يكشفها

البحث، وعلى سبيل المثال ما كتبه محمد حسنين هيكل [1] "عن أن السوفيت أعلنوا وجود خيانات داخل القوات المسلحة المصرية ووجود عملاء للـC.I.A (المخابرات المركزية الأمريكية) وبالتالي إسرائيل، وأن أحدهم الفريق أ. صدقي محمود قائد الطيران، كذلك أن ضباطنا وخاصة كبار القادة من طبقة برجوازية، تعوّدوا على العيشة السهلة، واندفعوا نحو المكاسب المادية، وأنهم لا يؤمنون ولن يؤمنوا يومًا بالاشتراكية، وأنه لكي يصبح لدينا قوات مسلحة حقيقية علينا أن ندفع بالشبان من الفلاحين والعمال إلى المراكز القيادية، وأشاروا إلى أهمية وجود الضابط بين جنوده، يُعلمهم، ويرعى مشاكلهم حتى الشخصية منها، لا يشعرهم أنه من طبقة أعلى منهم".

٢ - هل اتهام السوفيت لكبار قادتنا بالخيانة أمر يستحق الدراسة؟

هل يمكن أن يتطرق لذهن أي مصري - مجرد الشك - في احتمال قيام "جنرالات" الجيش المصري بعمل مشبوه، يُوصف بالخيانة بقصد هزيمة الجيش المصري وتدميره؟!... طالما لا يبدو أن هناك أدنى مبرر لهذه الخيانة، ذلك أن "جنرالات" الجيش كانوا شركاء في حكم مصر، يتمتعون بكافة الامتيازات في الدولة؛ إلا أن اتهام السوفيت الصريح لكبار قادتنا بالخيانة، ومطالبتنا بمحاكمتهم وإعدامهم رميًا بالرصاص يفرض علينا بحث هذا الاتهام، حتى يمكننا الرد عليهم لرد اعتبار كبار قادتنا أمام العالم بعد تلويث سمعتهم وشرفهم - باعتبار أن هذا الاتهام أُعلن على العالم أجمع - على أن يكون ردنا مُدعّم بأسباب موضوعية وحقائق، وإلا أصبح ما نقوله مجرد آراء ذاتية مبنية على الروح الشيفونية والنعرة القومية، والتي لن يقبلها العالم لبعدها عن العلم والمنطق.

وعلى ذلك، ومع إقرارنا بأننا لا نقبل اتهام كبار قادتنا بالخيانة شكلا أو موضوعا، فإنه من الناحية الموضوعية العقلانية علينا قبوله مبدئيًا، باعتبار مبدأ "قبول الآراء المعارضة" لنا، حتى يتم تحليله ومناقشته والفصل فيه، خاصة وأن هذا الرأي جاء من المعسكر الحليف لنا استراتيجيًا، علاوة على أن تقادم هذه القضية باعتبارها أصبحت بعد ٤٠ عام حدث تاريخي قديم - يفرض علينا حسمها...

وطالما قبلنا بحث هذا الفرض؛ فإن الأمر يوجب علينا التخلي عن الحساسية الشديدة تجاه كبار قادتنا الذين هم فوق الشبهات، ذلك أن الشخصيات التاريخية التي لعبت أدوار بارزة وحاسمة في تاريخ الأمم والشعوب غالبا ما تتعرض للنقد الشديد الذي يصل إلى أشد الاتهامات بشاعة، وهو الأمر الذي يجعل في بحث هذه

الاتهامات ما قد يراه البعض مساس وجرح لهذه الشخصيات القومية ورموز الأمة، ولكنها سنة التفوق والشهرة والمجد، وعذرنا فى ذلك إننا نهدف إلى إثبات براءة كبار قادتنا من هذه التهمة الشنعاء؛ حين شُهِّر بهم في العالم أجمع... أما إذا توصلنا إلى غير ذلك... فإن الحقيقة فوق مجاملة أي إنسان، مهما كان وضعه ومركزه الاجتماعي.

وتظهر في قضيتنا هذه، عقبة شديدة تعوق منهج البحث ألا وهى: عدم قبول الرأي العام المصري أي تحليل أو رؤية جديدة لحرب ٦٧، تخالف التحليل أو الرؤية السائدة والتي فرضت عليه وأصبح على قناعة تامة بها، وهو أمر طبيعي، حيث يصعب على أي إنسان اقتناعه بمفهوم جديد يناقض تمامًا المفهوم الذي سبق أن استخلصه واقتنع به تمامًا... لذا رأينا استخدام أسلوب غير تقليدي لتحليل وعرض القضية يتناسب مع طبيعتها، ألا وهي: " أسلوب الراهب كوبرينقوس " والذي عالج به قضية لها نفس الإشكالية، حين قام بتحليل وعرض نظريته التي خالف بها النظرية السائدة في ذلك الوقت والتي كان العالم على قناعة تامة بها.

٣- أسلوب "كوبرنيقوس" في منهج البحث عن صحة الفرض السوفيتي:

ظل العالم يؤمن بدوران الشمس حول الأرض طيله ١٤ قرن من الزمان، طبقا لنظرية "بطليموس السكندرى" الذي بنى تصوره على ما تراه الحواس ويقبله الحس، وأتسقت نظريته مع العقيدة المسيحية، والتي تفرض الإيمان بمركزية الأرض للكون كحقيقة من حقائق الكتاب المقدس.

وكان أهم تطبيق لهذه النظرية هو: "هداية السفن في البحار"، حيث كانت النجوم هي الوسيلة الوحيدة لهداية السفن... وطالما كان العالم القديم لا يعرف من البحار إلا: "المتوسط والأحمر وشواطئ المحيط الهندي"، فقد اقتصرت دراستهم على نجوم نصف الكرة، الذي يشمل هذه البحار فلم تظهر مشاكل تذكر... ومع الكشوف الجغرافية الحديثة، والرحلات الطويله عبر المحيطات، دخلت السفن في مجال آخر لتظهر لها نجوم النصف الآخر من الكره الأرضية، الأمر الذي كشف قصور نظرية بطليموس وتخلف علم الفلك عن اللحاق بسفينة كولومبس، التي وصلت للعالم الجديد.

لقد كان تنامى علم الجغرافية و معلوماته الجديدة مع سفينة كولومبس، هو الذي فضح تخلف علم الفلك، بعد فشل نظرية بطليموس في تفسير حركة النجوم، الأمر الذي دفع بعلماء الفلك للبحث عن مخرج لهذه المشكلة ؛ ولكن دون جدوى...

حتى ظهر الراهب كوبرنيقوس، الذي خرج عن المألوف في أسلوبه، لمعالجة المشكلة وذلك حينما طرح جانبا تلك النظريات التي قيدت فكر العلماء المعاصرين له، لينطلق بفكره خارج الكهف المظلم لنظرية بطليموس المقدسة، التي حجرت على عقول العلماء الآخرين، والتي لم يكن لأحد الخروج عنها، وقام بابتكار أسلوب جديد في البحث، حيث قام ببساطة برسم النجوم على قطعة من الورق، وكذلك رسم مسار حركة هذه النجوم والكواكب كما هي في الواقع، ثم نظر في حركة جميع النجوم والكواكب كمنظومة متكاملة. ماذا تقول هذه المنظومة ببساطة؟... وياللعجب ... لقد قالت أن الأرض و الكواكب هي التي تدور حول الشمس، وليس العكس كما تقول النظرية المقدسة فأعلن ببساطة هذه الحقيقة.

ألا ترى في البساطة، وسيلة عملية وفعالة من وسائل البحث العلمي... طالما أمكننا تصحيح معتقدات وآراء و تحليلات سابقة فاسدة كانت في حكم التقديس. ... أما وأن، هذا الكم الهائل من القصص والتحليلات الكاذبة التي فرضها "جنرالات" الجيش، كوجهة نظر ورؤية أحادية على الرأي العام المصري، قد حولها إلى رؤية مقدسة، الأمر الذي جعل منها قيود تكبل عقول وفكر الرأي العام المصري وتعوق انطلاقه خارج حدود هذه الرؤية، بالضبط مثلما فعلت نظرية "بطليموس" المقدسة في عقول علماء الفلك في القرون الوسطى.

أما وأن، هذه البساطة قد استطاعت أن تقدم حلا لمشكلة مسار النجوم والكواكب... وصححت نظريات فاسدة كانت مقدسة، وأطلقت للعقل حريته في التفكير بعيدا عن آراء وتحليلات تقيده وتحجر عليه، فكيف لا تستطيع هذه البساطة أن تجد لنا حلا لمشكله ٦٧ وألغازها الأربعة؟

وهل كانت أحداث الأرض أكبر من أحداث السماء ومسار نجومها وكواكبها؟ ... إذن تعالى نجرب هذه البساطة، ولنطرح جانبا تلك الرؤية الأحادية والتحليلات المقدسة لكبار قادتنا، التي قيدت فكرنا وعقولنا وحبسته في داخل إطارها المغلق والمظلم... تعالى نقوم ببساطة، كما فعل كوبرنيقوس حينما رسم مسار الكواكب والنجوم على قطعة من الورق، ونظر إلى حركتها في مساراتها كمنظومة متكاملة : فاكتشف الحقيقة .

تعالى نرسم أماكن الوحدات والوسائل العسكرية على خريطة من الورق لسيناء، كما كانت في الواقع لحظة نشوب الحرب في ٦٧، ثم ننظر إليها

كمنظومة متكاملة، أو كخطة عسكرية... أليست الخطة العسكرية في أبسط مضمون لها هي أوضاع القوات والوسائل العسكرية على أرض المعركة؟

إن هذه الأوضاع هي ببساطة الخطة العسكرية الحقيقية، التي نغذناها في حرب ٦٧... تعالى ننظر إلى المنظومة، كما فعل كوبرنيقوس، لنحدد منها أهدافها باعتبار أن شكل وأوضاع القوات على الأرض تحدد أهدافها بدقة من خلال المنظومة المتكاملة، أي بمعنى الاستنتاج العكسي، حينما يظهر هدف الخطة من خلال أوضاع القوات على الأرض، وبذلك يمكننا وضع رأي السوفيت كافتراض في صورة خطة عسكرية سوف نطلق عليها اسم كودى "ثعبان" ... ثم نعيد النظر في أحداث حرب ٦٧ لنتحقق فيما إذا كانت تسير وفقا لتحقيق أهداف الخطة "ثعبان" ... أم لا؟

٤- الخطة "ثعبان":

هو مضمون الادعاء السوفيتي بخيانة مجموعة من كبار القادة المصريين بتعاونهم مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A)، لتسهيل غزو إسرائيل للأراضي المصرية، وتدميرها للجيش المصري، واستيلائها على "سيناء"، في صورة خطة عسكرية، تم تنفيذها بدل من الخطة الأساسية "قاهر".

وهو الأمر الذي يناقض تماما ما أعلن على الرأي العام المصري من أن هزيمة الجيش المصري في حرب ٦٧ كانت لأسباب: "الأخطاء والإهمال والتخبط"، وإنما كانت بتخطيط مدبر ومحكم تم الإعداد المسبق له، وتنفيذه في صورة غاية في الدقة و المهارة و هو مضمون الخطة "ثعبان".

كما أنه لا يجوز الخلط بين الأمرين... ذلك أن: "الأخطاء والإهمال والتخبط" هي مسائل طبيعية متوقعة، طالما أن كبار القادة كانوا يسيرون على الخطوط والمعالم الرئيسية للخطة العسكرية المعتمدة "قاهر".. أما إذا اختفت تماما خطوط ومعالم الخطة "قاهر"، وظهر أنهم يسيرون على خطوط ومعالم أخرى لا تمت بأي صله للخطة "قاهر"؛ فعلى أي أساس إذن تقيّم هذه الأعمال على أنها "أخطاء أو إهمال أو تخبط"؟

من ناحية أخرى فإن "الأخطاء والإهمال والتخبط" لايصنعون خطة متكاملة غاية في الدقة والإتقان، حتى أنه من المستحيل ان تظهر مجموعة من الأعمال التي تتصف "بالإهمال والأخطاء والتخبط" كمنظومة عمل متكاملة، تسير وفقا لفكرة فلسفية محددة لتحقيق أهداف محددة، إلا إذا كانت في حقيقتها خطة أخرى تم إعدادها وتدبيرها مسبقا.

وحتى يمكننا تحليل وبحث هذا "الادعاء" علميًا، والفصل في صحته، فإنه علينا أن نخضعه لأسلوب المنهج العلمي المتبع في مثل هذه القضايا، وذلك بوضع هذا "الادعاء" كفرض، ثم نقوم بمحاولة إثبات هذا الفرض، وبالتالي نصل إلى الحقيقة فيما إذا كان الفرض صحيحًا أم خطأ.

٥- حدود فلسفة البساطة في منظومة حرب ٦٧:

كيف نظر الراهب "كوبر نيقوس" لمنظومة حركة النجوم والكواكب؟ أو كيف كانت أبعاد وحدود البساطة التي عالج بها المسألة؟

معنى نظر الانسان لمنظومة أو لأي قضية هو دخول العامل البشرى فيها، والذي يحولها إلى وجهة نظر ذاتية، تختلف من شخص لآخر، ومن هذه **الزاوية حكمت** فلسفة البساطة بفصل المنظومة، كظاهرة كونية لها نواميسها وقوانينها المستقلة، واعتبارها أكبر وأبعد ما تكون عن قدرات الأنسان، وفوق إمكانات حواسة البشرية المحدودة، والتي تقل عن قدرات كثيرا من الحيوانات، حتى ضلت العين واضلتنا ١٤ قرن من الزمان لتسلم بسلطان العقل بعد تحريره من القيود، ليحكم بنور الفكر، ويدرك ما لم تدركة العين، ويصحح فيما أخطأت في إدراكه الحواس.

وكذلك بالمثل، إذا ما عزلنا أنفسنا عن منظومة أحداث حرب ٦٧، بفرضها أشبة بظاهرة كونية مستقلة مثل ظاهرة حركة الكواكب والنجوم في السماء، مع اعتبار أن منظومة حرب ٦٧ ليست بنفس بساطة منظومة الكواكب والنجوم، لاختلاف طبيعة كلا من المنظومتين، إحداهما عناصرها الفاعلة من البشر، والأخرى من الكواكب والنجوم، الأمر الذي يستلزم بالتالي اختلاف في كيفية التعامل مع كلا من المنظومتين، أما أولى هذه الاختلافات: فنجد أن منظومة الحرب طالما كانت عناصرها الفاعلة من البشر، الذين قد تربطنا بهم علاقات اجتماعية؛ فإنه بالتالي يدخل فيها تأثير الثقافة بمفرداتها من قيم وعادات وتقاليد ... كذلك يظهر فيها تأثير الجانب الذاتى للانسان "العواطف"، وكل ذلك غير موجود في منظومة الكواكب والنجوم لكوبرنيقوس، والذي لم يرتبط بأي علاقة اجتماعية مع أي كوكب من الكواكب، لا صداقة مع المريخ ولا نسب مع عطارد و لا عداء فكري أيديولوجي مع أي منها، وبالتالي لا توجد عوامل سيكولوجية ولا دوافع ذاتية تسبب له حرج في أن يعلن ببساطة حقيقة أن المريخ وعطارد يدوران حول الشمس، ليهوى بمركزهما الاجتماعى إلى الحضيض.

أما الاختلاف الثاني: ففي كيفية إثبات حقيقة المنظومتين، ففي الظاهرة الكونية للكواكب والنجوم لم يخرج الإثبات عن رصد الكواكب والنجوم من المراصد الفلكية وحسابات رياضية، لتظهر كحقيقة يقينية لا جدال فيها أوضح من قرص الشمس، خلافا لمنظومة الحرب التي يعوق إثبات حقيقتها البشر أنفسهم، بأهوائهم وأغراضهم الذاتية، الأمر الذي يفرض تحليل كل حادثة في الحرب ووضعها تحت حكم المنطق والعقل وقوانين الطبيعة وسياق الأحداث الزمني، حتى نتمكن من التحقق من كل حدث.

أما الاختلاف الأخير: فيأتي من أن أحداث الحرب لها خلفيات تاريخية مؤثرة عليها، حتى أنها تعتبر جزء من منظومة الحرب نفسها، أي أن الحرب ليست مجرد أيام القتال الفعلية، ولكن تتضمن مرحله الإعداد والتنظيم ومرحله التحضير للحرب علاوة على مرحله الحرب الفعلية، وهو خلاف منظومة الظواهر الكونية، والتي ليس لها خلفية تاريخية مؤثرة على حركتها، فمنذ وجد آدم على ظهر الأرض والكواكب هي الكواكب والمريخ هو المريخ وعطارد هو عطارد، وكلها تدور كما كانت تدور من قديم الأزل.

٦- "افتراض"، تنفيذ جنرالات الجيش للخطة "ثعبان" في حرب٦٧:

وكما فعل "كوبرنيقوس" حينما أزاح جانبا نظرية "بطليموس"، طالما لم تسير على خطوطها الكواكب والنجوم، حيث وضع "فرض" جديد لتفسير تلك الظاهرة، وذلك بافتراضه أن الكواكب هي التي تدور حول الشمس وليس العكس...

ولم يعلن هذا "الفرض" كنظرية علمية تنسخ نظرية "بطليموس" الفاسدة؛ إلا حينما نجح في إثبات صحة "فرضه" يقينًا، وأنه يفسر الظاهرة الكونية تفسيرًا صحيحًا".

كذلك نفعل نحن، حين نزيح جانبًا الخطة "قاهر" طالما لم تسير على خطوطها قواتنا في حرب ٦٧... لنضع بدلاً منها الخطة "ثعبان" كفرض لتفسير ظاهرة هزيمة ٦٧... ونرى هل ينجح هذا "الفرض" في تفسير هزيمة ٦٧ تفسيرًا صحيحًا؟.

وهل الخطوط الاستراتيجية التي نفذها جنرالات الجيش المصري في مراحل حرب ٦٧ في سياق الخطة "ثعبان"؟.

أما عن مراحل حرب ٦٧، فهي في إطار مراحل الحرب التقليدية العادية وهي:

- مرحله الإعداد والتنظيم للحرب.

- مرحلة التحضير للحرب.
- مرحله الحرب الفعلية.
- مرحلة تحقيق الغاية السياسية من الحرب_" محاوله قلب نظام الحكم ".

٧ـ دورنا في البحث دور الادعاء،والحكم النهائي للقاريء:

دورنا في هذا البحث هو عرض الأحداث وتحليلها، ويكتمل هذا الدور في تقمص دور الادعاء السوفيتي... على أنه لا يتبادر إلى ذهن القارئ أن الهدف من الكتاب هو إثبات التهم على كبار القادة، باعتبار أننا اتخذنا دور الادعاء، ولكن على العكس، فإن الكتاب هو محاولة لتحليل هذا الادعاء السوفيتي من كل جوانبه، حتى يمكن إبراء ذمة كبار القادة وشرفهم الرفيع من التلوث بالخيانة، أما الحكم النهائى فقد تركناه لجميع القراء، حتى نضمن تجنب الخطأ الفردى في الحكم على قضية أمة بأسرها.

على أن يقوم القارئ بالحكم على كل مرحلة على حدا، فيما إذا كانت جميع الأعمال والإجراءات التي تضمنتها حققت الخطة " ثعبان" أم لا؟ ... ثم الحكم على جميع المراحل كمنظومة متكاملة.